

(٤٩) خطبة للنبي ﷺ

فى زواج السيدة

فاطمة الزهراء ؑ

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَحْمُودِ بِنِعْمَتِهِ، الْمَغْبُودِ بِقُدْرَتِهِ، الْمَرْهُوبِ مِنْ عَذَابِهِ، الْمَرْغُوبِ فِيْمَا عِنْدَهُ، النَافِذِ أَمْرُهُ فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ، الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ، وَمَيَّزَهُمْ بِأَحْكَامِهِ، وَأَعَزَّهُمْ بِدِينِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْمَصَاهِرَةَ نَسَبًا لَاحِقًا، وَأَمْرًا مُفْتَرَضًا، وَوَشَّجَ بِهِ الْأَرْحَامَ، وَأَلَزَمَهُ الْأَنَامَ، قَالَ تَبَارَكَ اسْمُهُ، وَتَعَالَى ذِكْرُهُ :

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (١)،
فَأَمَرَ اللَّهُ يَجْرِي إِلَى قَضَائِهِ، وَلِكُلِّ قَضَاءٍ قَدَرٌ، وَلِكُلِّ قَدَرٍ أَجَلٌ :
﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٢).

ثُمَّ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَزُوجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ زَوَّجْتُهَا إِيَّاهُ عَلَى أَرْبَعِمَائَةٍ مِثْقَالِ فِضَّةٍ، إِنْ رَضِيَ بِذَلِكَ عَلِيٌّ .

(جمهرة خطب العرب - الجزء الثالث)

(١) سورة الفرقان : ٥٤ .

(٢) سورة الرعد : ٣٩ .

فى هذه الخطبة المباركة - كما قرأنا - وبعد تلك المقدمة العظيمة التى أثنى فيها الرسول ﷺ على رب العزة: يبين النبى ﷺ أهمية المصاهرة، وأنها سبب كبير فى توطيد العلاقة بين الأنام، ووصل للأرحام . .

ثم إذا كان الرسول ﷺ قد أشار بذلك إلى أن الزواج سنة الحياة، والأساس الشرعى فى انتشار النسل المبارك الذى به تعمّر الأرض، وتؤدى رسائل الحياة، وأن الزواج لا يتم إلا بأمر من الله تعالى، وأنه بقضاء الله وقدره، ولكل قدر أجل :

﴿يَمَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُبَيِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .

وقد كان النبى ﷺ يرغب فى الزواج :

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« يا معشر الشباب.. مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ ^(١) فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ » .

(رواه البخارى، ومسلم واللفظ له)

وعن أبى نجيع أن رسول الله ﷺ، قال :

« مَنْ كَانَ مُوسِرًا لَأَنْ يَنْكِحَ ثُمَّ لَمْ يَنْكِحْ فَلَيْسَ مِنِّى » .

(رواه الطبرانى بإسناد حسن)

(١) أى : مؤن النكاح .

ثم إذا كان النبي ﷺ قد قال :

« ثُمَّ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَزُوجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ رَوَّجْتُهَا إِيَّاهُ عَلَى أَرْبَعَمِائَةِ مِثْقَالِ فِضَّةٍ، إِنْ رَضِيَ بِذَلِكَ عَلِيٌّ » . .
فإن الزواج هذا يُعَدُّ أعظم زواج على وجه الأرض ؛ لأنه زواج فاطمة الزهراء ؓ، بالبطل الصنديد على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ابن عم الرسول ﷺ ، الذي رباه صلوات الله وسلامه عليه في بيته ، وكان بالنسبة له كولد من أولاده . وهو الفدائي الأول الذي افتدى النبي ﷺ بنفسه في ليلة الهجرة . .

ولأن الزواج المبارك هذا كان سبباً في إنجاب الحسن والحسين - عليهما رضوان الله - اللذين كانا سبباً وأساساً في انتشار آل البيت - عليهم جميعاً رضوان الله - في كل مكان على وجه الأرض .
هذا وإذا كان النبي ﷺ قد قال في نهاية الخطبة :

« وَقَدْ رَوَّجْتُهَا إِيَّاهُ عَلَى أَرْبَعَمِائَةِ مِثْقَالِ فِضَّةٍ إِنْ رَضِيَ بِذَلِكَ عَلِيٌّ » .
فإنني أقسم نيابة عن عليٍّ ؓ بأنه لو كان يملك وزن الجبال ذهباً لما بخل به مهراً لفاطمة ؓ ، وحسبه أنه سيكون بذلك زوجاً لابنة خير خلق الله صلوات الله وسلامه عليه ، وسيدة نساء أهل الجنة ؓ .
